

مقتطفات من تاريخ قبيلة العمور ببلاد جبال القصور خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين د / مجدوب موساوي، جامعة الدكتور طاهر مولاي سعيدة

ملخص: تعتبر قبيلة العمور من بين القبائل العربية الهلالية المهاجرة إلى الجزائر والتي استوطنت بعضها بلاد القصور نتيجة ظروف مختلفة نطمح من خلال مقالنا هذا الكشف عن بعض الجوانب المهمة من تاريخ هذه القبيلة والأدوار المختلفة التي ساهمت فيها.

ABSTRACT: The amur tribe is one of the Arab tribes who migrated to Algeria and some of them have settled in the qsur region due to different circumstances. this paper aims to shed light on some important aspects of the history of this tribe and its contributions.

قد عرفت بلاد القصور¹ بجنوب غرب الجزائر هجرات كبيرة للقبائل العربية الهلالية نتيجة ظروف مختلفة (سياسية واقتصادية) ساهمت بدورها في التغيرات المختلفة التي عرفها المغرب الإسلامي على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي من بين القبائل العربية نجد قبيلة العمور المنتشرة في كثير من مناطق الجزائر وكذا جنوب شرق المغرب الأقصى والتي كان لها وزنها من خلال أدوارها التي لعبتها في مجالات مختلفة.

ومع ذلك فإن هذه القبيلة لا تزال مجهولة لدى كثير من الباحثين والدارسين كما أننا لم نجد دراسة مفردة خاصة بها. فرأينا من الضروري البحث في هذه القبيلة وبصفة خاصة تلك التي استوطنت منطقة القصور قصد التعريف بها ومعرفة أدوارها وعلاقتها بالقبائل الأخرى التي تعايشت معها عربية كانت أو بربرية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

هذه وغيرها من التساؤلات سنحاول الكشف عنها من خلال محاولتنا ومداخلتنا هذه والتي نرجو أن تكون لبنة أساسية للباحثين والتي لا بد من المزيد من البحث والنظر فيها قصد الكشف عن كثير من خصوصيات هذه القبيلة.

قبيلة العمور: (النسب - الفروع والموطن).

أ - نسبهم وأصولهم:

لم نجد ذكر لقبيلة العمور في كثير من كتب الأنساب التي اطلعنا عليها ولا نعرف سببا لهذا الإغفال باستثناء الإشارة المفيدة التي ذكرها ابن خلدون في تمييز نسبهم الأول؛ إذ قال أنهم ليسوا من الأتبيج الهلاليين بإفريقيا الشمالية وإنما لحقوا بهم والغالب إلى الظن أنهم من ولد عمرو بن عبد مناف بن هلال وليسوا من ولد عمر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال لأن رياحا وزغبة والأتبيج من أبي ربيعة ولا نجد بينهم انتماء بالجملة، ونجد بينهم وبين قررة وغيرهم من بطون هلال انتماء².

انقسم العمور في أول عهدهم إلى بطنين هما: قرّة وعبد الله وليس لهم رئاسة على أحد من هلال ولا ناجعة تظعن لقلتهم وافتراق ملتهم إنما هم ساكنون بالضواحي والجبال وفيهم الفرسان وأكثرهم رجالة؛ استوطنوا البلاد الممتدة ما بين جبل أوراس شرقاً إلى جبل راشد³. هذه البلاد محاذية للصحراء حيث القفر والجذب.

فأما بنو قرّة منهم؛ فبطن متسع إلا أنهم مفترقون في القبائل والمدن وحداناً⁴. بينما توزع عبد الله إلى بطون وأفخاذ تحت رئاسة بني عبد الله بن علي ومن تنسل منهم كأولاد محمد وأولاد ماضي⁵ ومنهم أولاد عنان بن محمد وعزيز بن محمد ومنهم أولاد شكر بن عنان وفارس بن عنان ومنهم أولاد يحيى ابن سعيد بن بسيط بن شكر.

ب - فروع قبيلة العمور:

تنقسم قبيلة العمور إلى ثلاثة مجموعات كبيرة؛ وكل مجموعة تنقسم بدورها إلى ثلاثة فرق، وقد أفادتنا تقارير بعض ضباط عساكر الاستعمار الفرنسي أثناء تنفيذهم لسياسة فرنسا التوسعية بجنوب غرب الجزائر بأعدادهم؛ حتى ولو أن هذه التقارير لم تعطينا أعداداً صريحة لأفراد هذه القبيلة؛ بل أعطتنا تقديرات لها فقط وفق ما وصلهم من أخبار المخبرين أو استطلاعاتهم الشخصية، إلا أننا نرى أن هذه التقديرات غير بعيدة عن واقع الحال؛ باعتبار أن فرنسا كانت تريد أن تتوسع في الجنوب ومن صالحها معرفة سكان هذه المناطق من قبائل وأعراس مختلفة من جهة؛ ومعرفة تعدادها وتحركاتها من جهة ثانية حتى تحقق مشروعها التوسعي.

كما أفادنا تقريراً للضابط Monthanbery أن مجموعة صغيرة العدد من العمور اندمجت في زمن سابق مع فرق أولاد جرير⁶؛ وأصبحت الآن جزءاً منها؛ ولا نعرف مدى صحة قول هذا الضابط في تقريره.

وحسب تقرير 4 مارس 1912 بأرشيف فانسين⁷ تكون قبيلة العمور على النحو الآتي:

1- أولاد بوبكر أكبر المجموعات الثلاثة عدداً في القبيلة؛ مجموع أفرادها 1806، يتوزعون على ثلاثة فرق هي:

- أولاد عبد الله يشكلون أكبر فرقة في هذه المجموعة بتعداد 846 فرد. وهم يتفرعون إلى مجموعة دواوير هي: أولاد لعور، أولاد قدور، أولاد علي، أولاد دحمان، أولاد عبو، أولاد عبد الكريم، أولاد السهلي، أولاد نصر، أولاد أمان الله، أولاد بن الدين، أولاد بن دودة، أولاد مصباح.

- أولاد قُطيب بلغ عددهم 600 فرد. ودواويرهم هي: أولاد خريص، أولاد خليفة، أولاد التومي، أولاد إبراهيم، أولاد عمير.

- المذابيح بلغ عددهم 360 فرد. ودواويرهم هي: أولاد موسى، أولاد عيسى، أولاد الجيلالي، أولاد بوترة، أولاد عبيد، السوالم.

2- أولاد سليم ثاني مجموعة في القبيلة من حيث العدد؛ بلغ مجموع أفرادها 1338 فرد يتوزعون هم كذلك على ثلاثة فرق هي:

-المَرِينَات بلغ عددهم 524 فرد. ودواويرهم هي: أولاد سعيد، بوترة، أولاد عيسى ولد علي، أولاد جلول، أولاد الحجيرة، أولاد بوذن، أولاد ودة، البيايضة، أولاد العوافي، أولاد القدادرة، أولاد بلعام.
-أولاد الشَّحْبِي بلغ عددهم 450 فرد. ودواويرهم هي: أولاد التومي وأولاد أحمد.
-أولاد بُوشَارَب (يعرفون بالشوارب) بلغ عددهم 360 فرد. ودواويرهم هي: الرزازقة، الزيتانة، العوابد، جبابرة، حمليلي، المناصرة.

3-الصوالي وهي المجموعة الثالثة والأخيرة من حيث عدد أفرادها البالغ 1053 فرد يتوزعون هم كذلك على ثلاثة فرق هي:

-أولاد عَلِيَّات بلغ عددهم 420 فرد. ودواويرهم هي: أولاد اعمر، أولاد بوبكر، لقوانة، أولاد موسى، أولاد ميسات، أولاد لعور
-أولاد سُليمان بلغ عددهم 333 فرد. ودواويرهم هي: اللبادة، أولاد نُبو، أولاد بوزيان، لهيايكة، أولاد الشيخ.
-أولاد عَامَر بلغ عددهم 300 فرد. ودواويرهم هي: أولاد الخشعي، أولاد العيد.

وهذا يكون مجموع قبيلة العمور خلال التاريخ المذكور ووفق التقرير الفرنسي 4187 فرد⁸.

ج - بلاد ومواطن قبيلة العمور:

لقد أفادنا ابن خلدون في تأليفه بمواطن قبيلة العمور الأصلية والتي تبدلت تدريجياً مع مرور الزمن من البلاد الشرقية للجزائر إلى جنوب غربها ببلاد القصور؛ وبصفة خاصة منهم بطن بنو عبد الله. فأفادنا ابن خلدون بمواطن أولاد فارس وأولاد عزيز وأولاد ماضي بسفح جبل أوراس المطل على بسكرة قاعدة الزاب متصلين بجوار رياح وتحت طاعتهم خصوصاً الزواودة الذين يجولون بوطنهم؛ وصاحب الزاب وبسكرة عليهم طاعة لقرب جواره وحاجتهم إلى سلطانه.

كما ذكر أن موطن أولاد شكر جبل راشد؛ ثم استقل به أولاد محيا بن سعيد بعد طردهم لأولاد زكرير فصاروا إلى جبل كسال⁹ وأوطنوه¹⁰؛ ومنهم من هاجر إلى المناطق الغربية منه في شمالها وجنوبها وانتشروا بصفة خاصة ببلاد القصور؛ واستوطنوا في واحاتها وقصورها الواقعة بين أحضان سلاسل الأطلس الصحراوية والتي تحيط بها الجبال من كامل الجهات؛ متمثلة في قصور فجيج¹¹، بني ونيف¹²، مقرار التحتاني¹³، الصفيصة¹⁴، عسلة¹⁵، عين الصفراء¹⁶، تيوت¹⁷، الشلالة الظهرانية¹⁸، الشلالة القبيلية¹⁹، ومقرار الفوقاني²⁰ وبوسمغون²¹ وأربا الفوقاني²² وأربا التحتاني²³ والأبيض سيدي الشيخ²⁴، سيدي الحاج بن عامر، كراكة²⁵، مشرية الصغيرة²⁶، بوعلام²⁷، سيدي أحمد بلعباس، المايعة، خلاف، الغسول²⁸، بريزينة²⁹، سيدي طيفور، سيدي سليمان، الكديان وستين³⁰؛ بل وصلت بعض فرقهم إلى فندي³²

وموغل³³ وبوكايس³⁴؛ وتمكنت من امتلاك ملكيات فلاحية من بساتين وحقول، فمثلاً أولاد عبد الله وأولاد قطيب كانوا يملكون واحات من النخيل بنواحي فجيج أما المرينات فكانت لهم ملكيات بإيش³⁵ ومغرار، كما أن فرقا من هذه القبيلة أصبحت في أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر تنزل بمواشيتها في المجال

الممتد ما بين عين بن خليل³⁶ إلى العريشة³⁷ قرب ثنية الساسي بشط تقري تتقاسم مع ساكنة هذه البلاد المرابي ونقط الماء؛ وبصفة خاصة قبيلتي حميان³⁸ وبني قيل.

وضعية القصور الجغرافية الممتازة وسط جبال سلاسل الأطلس الصحراوي، كانت عاملاً طبيعياً أساسياً في توجيه تاريخ المنطقة عبر قرون. إلى جانب عيون الماء المتفجرة وسط قصورها والتي كانت الأساس الذي قامت عليه الحياة في المنطقة مستقطبة عناصر سكانية متباينة متمثلة في العناصر البربرية الزناتية والصنهاجية³⁹، التي غلب على نمط عيشها الاستقرار وممارسة الفلاحة، والعناصر العربية كالعمور، وأولاد سيدي الشيخ⁴⁰، حميان، أولاد جرير وذوي منيع⁴¹،... والتي اعتمدت في حياتها على التنقل والترحال معتمدة على الماشية كمصدر رزق.

وبهذا تكون غالبية أفراد قبيلة العمور قد انتشرت وتمركزت بكافة مجال القصور الصحراوية وجبالها؛ إذ تمكنت من فرض وجودها؛ وبصفة خاصة بقصور تيوت، الصفيصة، العين الصفراء، المغارين (التحتاني والقوقاني) بالجزائر وقصرا إيش وفجيج بالمغرب الأقصى.

كما أن هذا الانتشار والتوسع كان عاملاً مهماً لها مكن أفرادها من التحكم في طرق ومعايير قوافل التجارة الصحراوية من جهة وقوافل الحج إلى مكة المكرمة من جهة ثانية. ونلمس هذا من خلال التأليف التي أشارت إلى هذه القبيلة بعد ابن خلدون ومنها ما ذكره العياشي⁴² في رحلته بعد عودته مع ركب الحج من أداء فريضة الحج عبر الطريق الصحراوي المألوفة عام 1074 هـ - 1663 م: بقوله: " وبلغنا قرية الكراكد، ووجدناها في غاية ما يكون من الغلاء وقد غارت عليهم خيل من خيول العمور بالأمس فأخذت لهم غنماً... وفي الغد ارتحلنا ووجدنا عرب الأغواط⁴³ الغربية قد فروا أمامنا من العمور..."⁴⁴.

كما ذكر الهشتوكي⁴⁵ قبيلة العمور في حجته الثانية عام 1119 هـ - 1707 م؛ إذ وقف على قطع كبير من الماشية لعرب العمور وغيرهم بموضع قريب من بوسمغون.

وبهذا تكون هذه القبيلة قد غيرت مواطن انتشارها الأصلية من شرق الجزائر إلى غربه؛ فبعد أن كانت مواطن هذه القبيلة في عهد ابن خلدون ما بين جبال الأوراس وجبل راشد أصبحت في أواخر القرن السابع عشر ببلاد جبال القصور.

1- الحياة السياسية عند قبيلة العمور:

عرفت الجزائر تطورات سياسية من قيام حكم عثماني وما صاحبه من تغيرات وإصلاحات في مجالات عديدة. وسكان منطقة بلاد جبال القصور عامة؛ ومنها قبيلة العمور خاصة، لم تكن في منأى عنها بالرغم من أنها ظلت متفلتة من السلطة السياسية؛ وهذا ما أشار إليه العياشي في رحلته بقوله: « إن أجزاء كبيرة من البلاد كانت مستقلة لا تخضع للوجود العثماني، بل هي تحت تصرف أمراء محليين... ولأولاد سيدي الشيخ نفوذ على مناطق شاسعة »⁴⁶.

فمن خلال قول العياشي نفهم أن بلاد القصور والأطلس الصحراوي التي كانت تمثل مجالاً جغرافياً واحداً على ما هو شائع على الألسن لدى أهالي هذه المنطقة ظلت مستقلة عن النفوذ العثماني، لكن يبقى هذا أمراً ظاهرياً فقط لكون الواقع كان عكس ذلك. إذ جعل الأتراك بينهم وبين أهالي هذه القصور واسطة تمثلت في قبائل المخزن⁴⁷ والتي أسندت لها مهام إدارية وعسكرية، ومن هذه القبائل التي تعاونت مع النظام التركي نجد قبائل أولاد سيدي الشيخ.

كما يذكر ناصر الدين سعيدوني: « إن مجموعات سكانية كانت ممتنعة من سلطة البايليك، وكانت تتألف أغلبها من القبائل التي كانت تعيش في المناطق الجبلية الحصينة... أو التي كانت تجوب جهات الهضاب الوهرانية ومناطق الأطلس الصحراوي (أولاد نائل والعمور والقصور)، وتخوم الصحراء...»⁴⁸.

كما أن الإدارة الفرنسية بعد العثمانيين لم تتمكن هي الأخرى من إخضاع القبائل العربية أو البربرية تحت سلطتها فالنظام الذي كان سائداً بمنطقة جبال القصور هو نظام الجماعات والمشايخ.

ومما سبق نفهم أن سكان بلاد القصور من العرب البدو الرحل والبربر المستقرين لم يكونوا يخضعون لأي نظام غير نظام القبيلة فهو نظامها السياسي إذ فرض أن يرتبط أفرادها بعضهم ببعض برباط النسب والعصبية الشديدة للقبيلة؛ وهي عصبية فرضتها الحياة في هذا المجال الجغرافي وأصبحت عندهم أساس مجتمعهم، ولدت روحاً إيجابية في التضامن والتكافل والاتحاد بين أفرادها⁴⁹.

هذه القبيلة كانت فردية في نظامها وفي جميع جوانب حياتها؛ وكانت كل أمورهما تسند إلى فرد واحد هو شيخ القبيلة يوليه أفرادها احتراماً وتقديراً كما أن الجميع ملتزم بتنفيذ قراراته واحترامها.

مأمورية المشيخة لم تكن تسند لأي شخص كان بل للذي كانت تتوفر فيه شروط؛ كأن يكون الأكثر ثراءً في القبيلة وأن يكون ينتمي إلى عائلة ذات صيت ونفوذ وشهرة؛ وأن يتحلى بالشجاعة والأخلاق الحسنة والعلم. هذه المزايا والخصال التي تتوفر في الشخص المقدم إلى المشيخة جعلته يكون راعياً رسمياً وأباً روحياً واجتماعياً لقبيلته، بل أُعتبر كمرجعية أخلاقية وقانونية في الحياة الأسرية القبلية. فهو المدبر لشؤونها وبصفة خاصة الخارجية منها؛ ولا نفهم أن الشيخ في قبيلته كانت له الحرية المطلقة في التصرف والتدبير؛ فالأعراف القبلية تقتضي منه دوماً الرجوع إلى التشاور مع جماعته من الأعيان المكونين لمجلس القبيلة؛ وبصفة خاصة في حالات الإحساس بخطر خارجي أو الاتفاق والإجماع على أخذ الثأر أو لتسوية الخلافات والنزاعات الناشئة بين المجموعات المكونة للقبيلة أو توزيع مجالات الرعي ونقط الماء⁵⁰؛ كما يمكن أيضاً لأعضاء مجلس القبيلة (الجماعة) بصفة خاصة وأفراد القبيلة بصفة عامة الحق في أن تغير من شيخها ولا يمنعها في هذا شيء إذا ما أساء التصرف أو عرض مصالح القبيلة للخطر⁵¹.

ومن بين الشخصيات التي تولت مشيخة قبيلة العمور نجد كل من محمد ولد علي وأبو فلجة ولد مبارك؛ وهما شيخان بارزان في فرقة أولاد عبد الله من عرش أولاد بوبكر، ويحظى الشيخ أبو فلجة ولد مبارك

بالخصوص بالأولوية وبنفوذ أكثر إذ كان ناطقاً رسمياً باسم فرقة أولاد عبد الله يتولى مكاتبه السلطان وعماله في المنطقة وترأس وفد فرقته إلى بلاد السلطان مولاي الحسن في صيف 1888.

وإلى جانب لقب شيخ القبيلة اتخذت ألقاب أخرى من صنع القبيلة نفسها للتمييز بين وظائف الأعضاء في فرقها؛ ومن هذه الألقاب نجد لقب المقدم⁵² إذ عادة ما كان يطلق على العضو في الجماعة الممثل لإحدى الطرق الدينية في فرقته وفي هذا نجد أمثلة كثيرة لوظيفة المقدم سنتطرق إلى ذكر بعضهم في عنصر الحياة الثقافية والتصوف بقبيلة العمور. كما نجد كذلك لقب الفقير وهو أقل درجة من المقدم، ثم لقب الطالب عادة ما كان يطلق على العضو المتعلم في الجماعة وهم حفاظ القرآن الكريم.

شكل العموريون فيما بينهم اتحادية تتفرع منها جميع عروشهم التي انقسمت بدورها إلى فرق تشكل الوحدات السياسية والحربية في القبيلة؛ لها جماعتها الخاصة متكونة من شيوخ الدواوير⁵³ والذين هم في نفس الوقت رؤساء العائلات الكبيرة ممن يملكون الثروة أو يتوفرون على مميزات شخصية تجعل منهم قادة الرأي والحرب في دواويرهم، وعلى رأس الجميع يوجد شيخ القبيلة.

أما أحكام القضاء داخل القبيلة أو الفرقة مما لا يرجع البت فيه إلى الشريعة الإسلامية فإن العرف يأخذ مجراه كما هو الشأن لدى جميع القبائل وسكان القصور الصحراوية عبر أحكام عرفية أو شفوية غير مكتوبة سبق الاتفاق عليها وجرت ممارستها من قبل. ففي حالة جريمة القتل يطرد القاتل إلى فرقة أو دوار آخر إلى أن تسوى دية القتل لصالح عائلته وتحددها فيما بين 300 إلى 400 فرنك فرنسي؛ أما السرقة فينتدب لها مجموعة من الأفراد عن كل الطرفين المعنيين بالحادث ويسهرون على رد الأشياء المسروقة ولو باستعمال القوة⁵⁴.

2- الحياة الاقتصادية عند قبيلة العمور:

اعتمدت قبيلة العمور كغيرها من القبائل البدوية الأخرى في حياتها الاقتصادية ونمط معاشها على نشاطات مختلفة؛ تمثلت في:

أ- الرعي والترحال:

هو الميزة الأساسية التي تتسم بها حياة البدوي بصفة عامة والعموري بصفة خاصة؛ إذ دوما مرتحل بقطعانه من الغنم والإبل باحثا عن العشب والماء، وهو ما يعرف كنمط حياة بعملية الرعي المتنقل وهو أبسط أنواع الرعي التي عرفها الإنسان.

هذا النمط من الحياة يكون دوما في خدمة الحيوان المرعي لقاء ما يوفره له من إشباع لاحتياجاته الضرورية؛ فالماشية عند البدوي هي المأكل والمشرب والملبس والمنزل...؛ فضلا عن أنها مصدرا لثرائه وغناه ومبعث لفخره وتباهيه، لهذا حظي هذا النوع من الحيوانات بمكانة كبيرة في نفوس وعقول البدو سواء بالتملك أو بالتطلع أو حتى بمجرد الحديث عنها.

هذا النمط من المعاش عرفته قبيلة العمور ومارسته سنين طويلة إلى يومنا هذا؛ إذ ظلت هذه القبيلة في ترحال دائم، متنقلة من مرعى إلى مرعى آخر، هذه الحياة لم تكن قدرا مكتوبا على العموري، بل حتمته البيئة الطبيعية التي قطعها بجبال وبادي واحات القصور؛ هذه البيئة المعروف عنها أنها بيئة صحراوية أو شبه صحراوية مياهها قليلة ومراعها فقيرة.

ففي أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت فرقا من العمور تنزل بمواشيمها في المجال الممتد ما بين عين بن خليل إلى العريشة قرب ثنية الساسي.

كما كانت خيمها منتشرة بكافة مجال القصور الصحراوية وجبالها ابتداء من عسلة وعين الصفراء في جهة الشرق إلى الواحات القريبة من فجيج في جهة الغرب؛ إذ صاروا يتقاسمون فيها بعض المراعي ونقط الماء إلى شط تقري وعين بن خليل وواحات جنين بورزق وبني ونيف وفندي مع مجموعة من القبائل كبني قيل وحميان وأولاد سيدي الشيخ وأولاد جرير وذوي منيع.

وقد ذكر الحاكم العام في الجزائر في رسالة لوزير الحربية بباريس بمجال تنقل قبيلة العمور؛ وهي البلاد المحصورة ما بين العريشة وسعيدة ومنها إلى الأبيض سيدي الشيخ جنوبا؛ وهو نفس مجال تنقل قبيلتي حميان وبني قيل⁵⁵. هذه المنتجعات المقصودة من طرف هذه القبائل المترحلة هي نقط تواجد الماء والتي قد تكون بئر أو عين أو واد أو مشرع من الماء والذي يسمى عند العموريين بالْعُدَيْرِ.

كما عرف على أفراد هذه القبيلة أن تنقلاتهم لم تكن في الغالب بعيدة المدى؛ بل انحصرت في الغالب بين جبالهم المعتادة وقصور الجنوب إلى حد واحة فندي؛ وهو التنقل الذي يعرف عندهم بمصطلح التَّخْلَافِ⁵⁶.

وعموما فإن أماكن ظعن قبيلة العمور قبل سيطرة الاستعمار الفرنسي على المنطقة توزعت حسب الفرق وفصلي الشتاء والصيف كالآتي:

-أولاد بوبكر: ومنهم:

1-أولاد عبد الله:

كانت تنقلاتهم في فصل الشتاء ما بين الركاني، درمل (حجرات المقييل)، القعادي (المُعْدَر لَحْمَر). أما في فصل الصيف فكانوا يتنقلون ما بين إيش، عين سفيسيفة، العنبة، القعلول، تاوسارة، المقرون، وجبل بني سمير.

2-أولاد قطيب:

تنقلاتهم في فصل الشتاء ما بين شبكة التمايد، الأعوج، وادي الناموس⁵⁷، الفيحة، مقرار. وفي فصل الصيف يتنقلون ما بين مكاليس⁵⁸، عسلة والسوم.

3-المذابيح:

تنقلاتهم في فصل الشتاء ما بين بالرماد، القعادي (المعذر لحمر). وفي فصل الصيف يتنقلون ما بين أولقاق، الفرطاسة، نواحي جبل دُوق.

-أولاد سليم: ومنهم:

1-المرينات:

تنقلاتهم في فصل الشتاء ما بين الفيحة، الروبية وقارة العشوة. وفي فصل الصيف يتنقلون ما بين جبال مير لجبال، مزي، المكثر.

2-الشوارب وأولاد الشحي:

تنقلاتهم في فصل الشتاء ما بين السدر، المصلحة، مخيزن وفوناسة. وفي فصل الصيف يتنقلون ما بين الحيرش، العرنوق، تاوسارة، المقرون، ضاية الذيب، العنبة.

-الصوالي:

تنقلاتهم في فصل الشتاء ما بين بولرفض، الملاحه، خناق الناموس، ثنية الزبوج، الويزدن والمزيرات. وفي فصل الصيف يتنقلون ما بين الرونجي، الطوارق ومقطع الدلي. وهو المجال ما بين عسلة، عين الصفراء وقليل ما تصل إلى مقرار وفوناسة وظيفيفة.

كما تصل تنقلات العمور خلال فترات السلم والوثام بين قبيلتي حميان وبني قيل إلى عقلة عبد الجبار وشط تقري شمالا وإلى المقرون والنعامه شرقا وإلى فندي جنوب غرب⁵⁹.

ب-الإغارة والسلب:

كانت تمثل الإغارة والسلب عند أغلب القبائل البدوية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ببلاد جبال القصور جزءاً من حياتها الاقتصادية؛ وهي الغارات التي كان يشنها المحاربون على قبائل بعيدة عن موطنهم خصوصا في فترات القحط والمجاعات التي كانت تتعرض لها مواطنهم، ولنا في هذا مثلا عند قبيلة العمور من خلال إشارة العياشي الذي وجد عند وصوله إلى الكراكة خيولا للعمور قد أغارت على أهاليها وأخذوا لهم عددا من رؤوس الغنم⁶⁰.

ج-الزراعة والصيد:

رغم أن قبيلة العمور ظلت مترحلة إلا أن هذا لم يمنعها من ممارسة نشاط الفلاحة؛ إذ اهتم الكثير منهم ببحرث أحواض بعض الأودية في مجال تنقلاتهم وبصفة خاصة خلال الأعوام المطيرة⁶¹؛ كما يظهر ذلك من خلال تقرير الضابط العسكري الفرنسي مون ثيري الذي ذكر أنه في سنة 1879 سجلت 80 عملية حرث واسعة للحبوب وبصفة خاصة الشعير والذرة قامت بها فرقا من قبيلة العمور في كل من أولقاق، عوبنة رحو، القعادي (عين المعذر لحر)، وادي الحلوف، درمل (حجرات المقييل)، الأعوج وفندي.

كما تتحدث مذكرة كتبت في 2 سبتمبر 1885 أنه كان لقبيلة العمور الكثير من الأملاك الزراعية من بساتين ونخيل في واحات القصور وبصفة خاصة بقصر مقرار التحتاني عند أولاد بوبكر وأولاد سليم؛ ولنا في هذا الكثير من النماذج منها:

-أولاد عبد الله: كانوا يملكون نخيلا بواحات فجيج، بني ونيف، فندي، جنين بورزق، درمل (حجرات المقييل)، تيوت، عين الصفراء وظيفيفة.

-أولاد قطيب: هم أيضا كانوا يملكون نخيلا بواحات مقرار التحتاني وإيش وفوناسة.

أولاد سليم عامة: كانت لهم بساتين ونخيل بمقرار التحتاني وعسلة.

-أولاد الشحي: أملاكهم من النخيل بواحة فجيج⁶².

وما وجب أن نشير إليه وهو أن قبيلة العمور وغيرها من القبائل البدوية الأخرى كحميان وأولاد جرير وذوي منيع وبني قيل عرفت نشاط الفلاحة بسبب استثمارهم لجزء من أموالهم في شراء بساتين القصور أو بسبب إيداع البدوي لماله عند القصورى مقابل رهن هذا الأخير ملكيته الزراعية له وعندما لا يجد من وسيلة ليرد له ماله المودع عنده والذي استهلكه تتحول ملكيته الزراعية مباشرة للبدوي: أو بسبب دين اقترضه منه وعجز عن تسديده؛ فهذه العملية تحولت الكثير من البساتين في القصور إلى ملكيات للبدو ومنهم العمور وتحول معها جزء من القصوريين إلى خماسين يزرعون ويسقون ويتعهدون البساتين والنخيل بخمس الإنتاج لصالح الأولين.

كما احترف البعض من أفراد قبيلة العمور صيد الحيوانات البرية في الجبال وبالأخص الأروي والبقر الوحشي؛ كما تخصص آخرون منهم في استنباط القطران من شجر السرو البري والذي يستخدم كدواء لدى مالكي الإبل إذ تطلّى بها مرتين في السنة لتجنبها الإصابة بالأمراض⁶³.

د-التجارة:

اتخذت أشكالاً متعددة عند العمورين والتي لم تقتصر عليهم فقط: بل عرفتها جميع القبائل البدوية القاطنة ببلاد جبال القصور على اختلاف أصولها وفروعها؛ ومن هذه الأشكال نجد:

1-التبادل:

كان يتم التبادل بين البدو الرحل والمستقرين بالقصور قصد تحقيق منفعة متبادلة وتحقيق التكامل فيما بينهما؛ عادة كانت تتم هذه العملية بالأسواق وبصفة خاصة بسوق عين بني مطهر وفجيج. كانت المبادلات عبارة عن مواد استهلاكية بعضها منتج محليا كالصوف والسمن والماشية وهذا بالنسبة للبدو الرحل؛ والتمر والملابس والأغطية الصوفية (كالسلم، البرنوس، الحايك، الزرابي...) بالنسبة للمقيمين بالقصور. وبعض هذه المواد مجلوب من المناطق التلية كالحبوب (القمح والشعير) عند المجموعة الأولى؛ والسكر والشاي والبن والزيت والصابون والشمع...عند المجموعة الثانية.

عملية التبادل هذه كانت تتم بالمقايضة مقابل مبالغ نقدية أو عينية من جهة ومن جهة ثانية تتم بالقرض (الدين)؛ والذي غالبا ما كان يوثق في كنانيش إلى آجال معلومة. فالنسبة للبدو الرحل كان يتم تسديده في فصلي الخريف والربيع (شهري أكتوبر وأفريل من كل سنة)؛ وهي الفصول التي يكثر فيها العشب والماء وتتكاثر فيها الغنم وما ينتج عنها من خير كبير من كثرة الألبان والسمن والصوف. أما بالنسبة لسكان القصور عادة ما يكون التسديد إلى آجال غير محددة وقتما تكون صناعتهم النسيجية جاهزة من فراش وملابس صوفية.

2-الشراكة في تجارة الغنم:

تتم بين القصورى والبدي من خلال استثمار الأول لأمواله فى البادية لأجل الشراكة فى تجارة الغنم.

3-التخزين:

يخزن البدي عند صاحبه فى القصر الكثير من المواد كالصوف، السمن، القمح، الشعير؛ كما يخزن السلاح والبارود والنقود والأفرشة وغيرها من مواد أخرى، فكانت القصور بالنسبة له تمثل مخازن حفظ وذلك بسبب عدم استقراره وتنقله بصفة مستمرة⁶⁴. فقبيلة العمور بفرقتها المختلفة كانت مخازنها بالقصور الآتية:

-قصر إيش: تخزن فيه كل فرق أولاد بوبكر (أولاد عبد الله، الشوارب والمذابيح)⁶⁵.

-قصور فجيج: متمثلة فى:

1-قصر الوداغير⁶⁶: يخزن فيه أولاد عبد الله، أولاد قطيب والمذابيح.

2-قصر زناكة: يخزن فيه أولاد قطيب وأولاد عليات.

3-قصر المعيز: يخزن فيه أولاد قطيب.

-قصر عين الصفراء: هو مخزن لأولاد عليات والصوالي.

-قصر تيوت: هو مخزن للصوالي.

-قصر صفيصيفة: هو مخزن للمذابيح والشوارب.

-قصر كرزاز التحتاني: هو مخزن لأولاد قطيب، أولاد الشحي والصوالي.

-قصر كرزاز الفوقاني: هو مخزن المرينات، أولاد الشحي وأولاد قطيب⁶⁷.

3- الحياة الثقافية عند قبيلة العمور:

أ-التعليم:

لم يكن التعليم موجود عند قبيلة العمور بحكم طبيعة حياتها المتنقلة؛ وإن وُجد عند المحظوظين منهم فإنه كان يتم بطريقة تقليدية وهي مشاركة معلمي القرآن لتدريس أبناءهم؛ فكانت فجيج وقورارة⁶⁸ وتوات⁶⁹ خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلاديين مصدرا لعدد من حفظة القرآن الراغبين فى تدريسه لأبناء الرحل والإمامة عليهم فى الصلوات الخمس وقراءة الحزب والأذكار يعقدون مع شيوخ الفرق أو الدواوير ما يسمى بعقد المشاركة يلتزم هؤلاء الحفظة بمزاولة هذه المهام الدينية - التعليمية خلال مدة زمنية قد تستغرق سنوات مقابل أجرة نقدية وعينية حسب شروط العقد المتفق عليه من الجانبين. وقد تتحول إقامتهم المؤقتة إلى إقامة دائمة أحيانا إذا ما تزوج المعلم بأعرابية من الدوار أو الفرقة المشارط عندها⁷⁰؛ ونجد فى هذا مثلا لأولاد خليفي من العمور فجدهم هو الطالب يوسف بن حمو المنتهي إلى توات والذي أتى إلى المنطقة معلما للقرآن الكريم لأبناء سليمان بن صولة بن سليمان بن موسى، ويحكى أن جيشا قد أغار على مواشي سليمان بن صولة فقام الطالب يوسف بصيد الجيش الغازي فزوجه سليمان إحدى بناته وهي " زاهية "، لهذا يقول لأولاد خليفي أن أولاد سليمان أخوالهم وكانوا يكونون مع الصوالي عرشا واحدا⁷¹.

ب-التصوف:

ساهمت قبيلة العمور في خدمة الدين من خلال ما كانت تقدمه من هبات وصدقات إلى زوايا تمثل طرق صوفية مختلفة عن طريق مقاديمها متمثلة بما تجود به ماشيتهم من خراف، سمن، صوف يستفيد منها طلبة العلم وبصفة خاصة طلاب زاوية الولي الصالح عبد القادر بن محمد المشهور بسيدي الشيخ⁷² وزاوية سيدي أحمد بن موسى الكرزازي⁷³؛ فالنسبة للأولى أصبح العموريون خداما لها منذ أن حضر وفد منهم لزيارة سيد الشيخ فخرج إليهم هذا الأخير وخرج في أثره ابنه سيد التاج دون انتباه من والده؛ فلما رآه أفراد الوفد الزائر ظنوه بنتا وتحاشوا النظر إليه لطول شعره، ففطن سيد الشيخ للأمر وأخبرهم أنه سيد التاج ولده ففرح الوفد العموري بالطفل وتفاءلوا به خيرا، ومنذ ذلك أصبح العمور خداما لسيد التاج يقدمون له ولخلفه من بعده الهدايا والزيارات⁷⁴. وأصبح الكثير منهم مريداً في الطريقة⁷⁵ الشيخية⁷⁶.

كما يذكر الأستاذ خليفي أن قبيلة أولاد سيد التاج بعد انتقالها من الأبيض إلى منطقة عين الصفراء استقرت وسط قبيلة العمور إذ كانت لهم مكانة طيبة بينهم⁷⁷.

ومن مقاديم قبيلة العمور في الشيخية على سبيل المثال لا الحصر نجد المقدم علال بن أبي بكر وأخاه الفقيه سيدي محمد بن بوبكر⁷⁸.

أما بالنسبة للزاوية الكرزازية والقادرية⁷⁹ فيذكر الضابط دي لا مارتيناز: "...نجد عند العمور بعض إخوان الكرزازية وفي كل قبيلة نجد ثلاثة أو أربعة من خدام سيدي عبد القادر الجيلاني⁸⁰، والمقدم يمثل قبيلته..."⁸¹.

ومن مقاديم زاوية كرزاز خلال النصف الأول من القرن العشرين كتماذج؛ نجد المقدم عيسى ولد أحمد من عرش أولاد قطيب، المقدم بن دودة لحبيب من عرش أولاد عبد الله، المقدم بكير بلعربي من عرش أولاد الشحي، المقدم حمليلي معمر من عرش المذابيح، المقدم شريط بوجمعة من عرش الصوالي.

أما بالنسبة للزاوية القادرية خلال نفس الفترة المذكورة فنجد المقدم عمار من أولاد إبراهيم من عرش أولاد قطيب، المقدم بن بكير عبد القادر من عرش أولاد الشحي⁸². كما نجد أن العمور كانوا خداما وأتباعا للشيخ بوعمامة⁸³. ومن مقاديمهم المقدم محمد بن سعيد.

ومن مقاديم الطريقة الطيبية نجد المقدم سكوري مول الفرعة ولد عبد القادر من عرش أولاد عبد الله، المقدم برينيس برينيس من عرش أولاد الشحي، المقدم بوقرين التوهامي من عرش أولاد بوشارب، المقدم علواني بلعربي من عرش المرينات. كما كان العمور مقاديم للطريقة الدرقاوية وبصفة خاصة أولاد يوسف خليفي كالمقدم خليفي محمد بن بوعدة.

كان للمقاديم دور كبير في أعراسهم من خلال تلقين الأتباع الأذكار والمواعظ والحث على التمسك بتعاليم الدين الحنيف والتذكير بالآخرة هذا التلقين لم يقتصر على الرجال فقط بل استفادت منه حتى النساء من وراء حجاب أو من الزوج إلى زوجته⁸⁴.

في الأخير نرجو أن يكون مقالنا هذا قد كشف عن جوانب مهمة من تاريخ قبيلة العمور؛ وأبرز بعض خصوصياتها والأدوار المختلفة التي لعبتها على مختلف الأصعدة ببلاد جبال القصور، ونأمل أن يكون إضافة علمية للباحثين والدارسين والمهتمين بتاريخ القبائل الجزائرية عامة، وبصفة خاصة منها تلك التي عمرت في الجهة الجنوبية الغربية.

الهوامش:

- 1 جمع قصر؛ والقصر يمثل مجموعة سكنية محاطة بسور منيع أو أسوار، وعادة ما يتحدر أغلب سكانها من أصل واحد.
- 2 عبد الرحمن بن خلدون (732 – 808 هـ / 1332 – 1406 م). تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاده، راجعه سهيل زكار، ج 6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، 1421هـ - 2000م، ص 34.
- 3 يعرف اليوم بجبال العمور نسبة إلى قبيلة العمور التي استوطنته؛ وهي الجبال التي تتوسط جبال القصور وجبال أولاد نايل من سلسلة الأطلس الصحراوي بشمال الأغواط. يقول عنه الأغواطي في رحلته: "...جبل عال جداً وفيه مائة عين جارية... وأرض هذا الجبل صالحة للزراعة... وفيه كل أنواع الخشب. ويقدر طول وعرضه بحوالي مسافة يومين لكل منهما. والسكان هناك يربون الإبل، وبعضهم يربي المعز والغنم، وهم من أجود الفرسان، ولغتهم هي العربية، ولا يحكمهم أي سلطان...". سعد الله أبي القاسم. رحلات جزائرية 3 – رحلة الأغواطي الحاج بن الدين – مجموع رحلات، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 89.
- 4 ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 34 – 35.
- 5 ينسب إليهم قصر عين ماضي وهو من قصور الأغواط، به مقر الطريقة التجانية.
- Daumas. *le Sahara Algérien études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie*, Dubos frères, Alger, 1845, PP.23 - 43.
- 6 قبيلة عربية؛ بطن من بطون دارم بن حنظلة من العدنانية، نسبة إلى الجريري، كما تنسب إليهم تميم وهم بنو جريري. عيسى قوراري. قبيلة حميان دراسة تاريخية وسوسيو- ثقافية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، ص 71.
- 7 التقرير ورد في مذكرة هذا الضابط والمحرة بالعين الصفراء بتاريخ 7 فبراير 1888 نقلاً عن المخبرين. أحمد مزيان. المجتمع والسلطة المخزنية في الجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19 م (1845 – 1912)، ج 1، ط 1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 1428 هـ - 2007 م، ص 86.
- 8 بن عيسى بوحميده محمد. مفاتيح عرش المذابح عادات وتقاليد وأناساب، العالمية للطباعة والخدمات، 2011، ص ص 12 – 42. مزيان، المرجع نفسه، ص 87.
- 9 يقع على مسافة كيلومترات قليلة شرق مدينة البيض.
- 10 ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 34 – 35.
- 11 عبارة عن ثلاثة قصور في وسط الصحراء تحيط بها عددا كبير من النخيل... نساء فجيج يهتمون بالصناعة النسيجية، في حين الرجال يمتنون التجارة مع بلاد السودان، ويرحل بعضهم إلى فاس لدراسة الآداب ليتخرجوا منها أئمة وخطباء مساجد... جميع الفكيكين أثرياء، وقصورها تبعد بنحو 250 ميلاً شرقي سجدلماسة. محمد الوزان الفاسي المعروف بليون

الإفريقي. وصف إفريقيا، تر عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ج 2، ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 132-133.

12 قصر من قصور الساورة في جهتها الشمالية؛ به ضريح سيدي سليمان بن أبي سماحة جد سيدي الشيخ.

13 من قصور صحراء تلمسان. يقع أسفل قصر مفرار فوقاني. أهله مزارعون للخضر والفواكه في بساتينهم.

- Daumas, op.cit, P.251.

14 قصر من قصور العين الصفراء؛ يحدها شمالا جبل مرغاد والذي تنبع منه مياه وادها، والتي تستعمل في سقي البساتين. بها ضريح الولية الصالحة (لالا صفية) عممة سيدي الشيخ.

- ibid, P.250.

15 بها ضريح الولي الصالح سيدي أحمد المجذوب عم سيدي الشيخ؛ وتذكر المراجع الأجنبية على أنها من قصور قبيلة حميان. بنيت عسلة على صخرة، وأخذت اسمها نسبة إلى النهر الصغير الذي يجري بأراضيها.

- Robert GEORGES. Voyage à travers l'Algérie, E, dentu éditeur, Paris, 1891, P.396. ibid, P.245.

16 من قصور صحراء تلمسان، محاطة بالجبال وبها كثنان رملية في جهتها الجنوبية.

- Daumas, ibid, P.249.

17 قصر من قصور العين الصفراء. شماله عبارة عن جبال وغربه عبارة عن كثنان رملية، يجري بوسطه واد يستغل في سقي البساتين المشهورة بزراعة التمور والتين.

- ibid, P.248.

18 قصر من قصور صحراء تلمسان في جهتها الجنوبية الغربية. بها ضريح والد سيدي الشيخ محمد بن سليمان. أهله مزارعون للخضر والفواكه، ولبعض نخيل التمور، وهي مصدر أرزاقهم إلى جانب ممارستهم للتجارة، كما عرفوا بصناعة التبغ من أشجار العرعار، إلى جانب صناعتهم للصابون.

- ibid, PP.242 - 244.

19 قرية صغيرة مبنية على صخور؛ بها مسجد ومدرسة. محاطة بسور به ثلاثة أبواب، بها بساتين كثيرة للخضر والفواكه، النساء بها يمتهنون حرفة نسيج ملابس الصوف كالبرانيس والحيالك والجلابيب.

- ibid, PP.241- 243.

20 يقع جنوب قصر العين الصفراء بنحو 28 ميل. به بساتين منتجة للخضروات وأشجار الفواكه ونخيل التمور، تسقى من وادها المسى واد الحيمر والذي يصب في واد الناموس.

- ibid, P.251.

21 يقول العياشي: «...بوسمغون أرخص من كثير البلاد التي مررنا عليها قبل... من عادة أهلها أن يخرجون إلى المصلى بسلاحهم لا يخرج أحد بغير سلاح صغيراً كان أو كبيراً، ويبنون في المصلى أحجاراً يتخذونها غرضاً للرمي بالبنادق... وغالب الناس مشغولون بالرمي حتى في حال الصلاة والخطبة...» عبد الله بن محمد العياشي. الرحلة العياشية 1661 - 1663 م، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، م 2، ط 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص 548-549.

22 قصر من قصور صحراء تلمسان، يقع شرق قصر الشلالة الظهرانية. أهله يمارسون الزراعة.

- Daumas, op.cit, P.241.

23 يقع أسفل القصر السابق لهذا أخذ هذه التسمية.

- ibid, P.241.

24 كان يعرف بواحة تانكرت سابقا. ليأخذ هذا الاسم بعدها نسبة للصوفي سيدي الشيخ، أين توجد زاويته وضريحه. أهل الأبيض يمتنون الفلاحة معتمدين في ذلك على مياه الآبار، ينتجون مختلف الخضروات والفواكه إلى جانب التمور.

- ibid, PP.225 - 240.

25 قرية صغيرة تقع شمال شرق واحة تانكرت (قصر الأبيض سيدي الشيخ).

26 قرية تقع قريبة من قرية ستين في جهتها الغربية محاطة ببساتين كثيرة.

- ibid, P.249.

27 قرية صغيرة شرق البيض محاطة ببساتين تسقى من العيون سكانه هم الرزيقات من قبيلة أولاد كسال.

- ibid, P.218.

28 قرية صغيرة تقع شمال شرق واحة تانكرت (قصر الأبيض سيدي الشيخ).

29 تقع شرق واحة تانكرت (قصر الأبيض سيدي الشيخ). سكانها يحترفون صناعة الأسلحة (البنادق) والبارود، كما يمارسون الزراعة معتمدين فيها على مياه الآبار.

- ibid, PP.221-222.

30 من قرى صحراء تلمسان؛ أهلها يمارسون التجارة في حين تمتن نساءهم الخياطة.

- ibid, PP.219 - 220.

31 François COMINARDI. *au cœur des monts des ksours, le KSAR de chellala dahrania, in tradition et modernité*, revue d'architecture et d'urbanisme, N°.2, Alger, 1995, P.45.

32 من قصور منطقة بشار في جهتها الشمالية.

33 قصر بشمال بشار.

34 من قصور منطقة بشار.

35 قصر صغير بجنوب شرق المغرب الأقصى؛ بُني فوق صخور به بساتين وواحات للنجيل تسقى من واده.

- Daumas, op.cit, PP.252 - 254.

36 بلدية تابعة لإداريا لولاية النعامة؛ سكانها من قبيلة حميان (عكرمة والمغاولية) يمتنون الرعي والزراعة.

37 بلدية تابعة لإداريا لولاية تلمسان في جنوبها؛ سكانها موالون وهم من قبيلتي حميان وأولاد انهار.

38 حميان بن عقبة: بطن من زغبة؛ من هلال بني عامر من العدنانية. كانوا يقيمون بإفريقية الشمالية. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 174-27. أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي. القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم ناصر الدين سعيدوني، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص 39. عمر رضا كحالة. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج 1، ط.2، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص 303. لتفاصيل أكثر عد إلى قوراري، المرجع السابق.

39 يعود أصل زناتة إلى مدغيس الأيتر؛ بينما تنحدر صنهاجة من برنس أخ الأيتر بن بر، وقبائل زناتة رحل في مجموعهم، برعون الإبل ويعيشون في الصحراء، يتكلمون البربرية التي لا تزال اللهجة السائدة في وادي ميزاب وورجلة ووادي ريف وفي جبال الونشريس وفي شرق المغرب الأقصى أهم فروعها ومن أهم أفخاذ زناتة، بني يفرن، وجراوة، ومغراوة. بينما كانت صنهاجة في معظمها من القبائل المستقرة. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 3 وما بعدها.

40 هم خلف وذرية الولي الصالح عبد القادر بن محمد المشهور بسيدي الشيخ؛ والذي تنتسب إليه الطريقة الشيعية وهي طريقة في التصوف. يشكلون اليوم قبائل كبيرة سواء بالجزائر أو المغرب الأقصى.

41 قبيلة عربية؛ بطن من بطون بني عامر بن زغبة بالمغرب، وهم من بني يعقوب الذين تنسب إليهم أرض اليعقوبية. ويقال لهم أولاد منيع نسبة إلى جدتهم منيع بن عامر بن زغبة، تستقر اليوم بإقليم الساورة وما جاوره. عبد القادر المشرفي. بهجة الناظري أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانين بوهران من الأعراب كني عامر، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص ص 14-15.

42 هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي أبو سالم؛ ولد سنة 1037هـ - 1627م. فاضل من أهل فاس، قام برحلة دونها في كتابه «الرحلة العياشية» في مجلدين سماها «ماء الموائد» ت. 1090هـ - 1679م. مخلفا ورائه تصانيف منها: إظهار المنة على المبشرين بالجنة - مسالك الهداية - تحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء. عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، اعتناء إحسان عباس، ج 2، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان. 1402هـ - 1982م، ص ص 832 - 835. ناصر الدين سعيدوني. من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي «تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين» ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999، ص ص 376 - 379. خير الدين الزركلي. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج 4، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، آيار (مايو) 1980، ص 129.

43 يقول عنها ابن خلدون: «...من نواحي الصحراء، قصرها مشهور ما بين الزاب وجبل راشد، أهلها مشهورون بالنجدة والامتناع من العرب...». ابن خلدون، المصدر السابق، ص 64.

44 العياشي، المصدر السابق، مج 2، ص 548.

45 هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن بيورك الهشتوكي؛ فقيه مغربي من أصحاب الرحلات، من أهل هشتوكة. قال الحضيكي: "اشتهر فضله وصلحت به قبائل وطوائف، وحج أكثر من مرة، ومات في المرة الأخيرة بمصر، ودفن بتربة الشيخ خليل (صاحب المختصر) "له تصانيف منها الرحلة وكتاب في ترجمة أبي العباس ابن ناصر؛ توفي سنة 1136هـ - 1724م. الزركلي، المرجع السابق، ج 1، ص 162.

46 مولاي بالحميسي. الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 28.

47 تنحدر من أصول مختلفة؛ تحالفت مع الحكام الأتراك وتعاونت معهم. كانوا يمثلون الجهاز الاقتصادي والعسكري والإداري الذي تعتمد عليه الإدارة العثمانية لاستخلاص الضرائب وحفظ الأمن والاستقرار وتسيير شؤون المجتمع الريفي. عمار بوحوش. التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 70.

48 ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي. الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 109.

49 قوراري، المرجع السابق، ص 38.

50 مزيان، المرجع السابق، ص ص 76 - 78.

51 أبو محمد عبد الله بن محمد التيجاني. رحلة التيجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس، 1958، ص 197.

52 تتمثل وظيفة المقدم ومسؤوليته في:

- يأمر بالأعمال الصالحة ويعلمها لعامة الفقراء ذكورا وإناثا بعد استئذان أزواجهن أو محارمهن. - أن يكون عارفاً بأمور الدين، محافظاً على الصلوات والصلاة الوسطى، ملماً بالفقه الضروري ويلقن ذلك للفقراء ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر،

وبأمرهم بمجالسة العلماء ومذاكرتهم، وبنهاهم عن مخالطة الفساق والفجار وأهل البدع، وكل ما يشغلهم عن ذكر الله، وشريعة نبيه عليه الصلاة والسلام. - أن يتذاكر بعضهم مع بعض. ومن لم يفعل ذلك، ولم تتعين فيه هذه المسائل فليس مقدماً، وإن زمامه خارج من حزمة الشيخ وأهل العناية والولاية. محمد بوزيان بنعلي. فجيح في عهد السعديين السياسة والثقافة والمجتمع، مطبعة الجسور، وجدة، 2005، ص ص 237 - 239.

53 جمع دوار وهو يشكل الوحدة الاجتماعية الدنيا في ترتيب القبيلة؛ تختلف الدواوير فما بينها من حيث عدد أفرادها وممتلكاتها.

54 مزيان، المرجع السابق، ص ص 76 - 78، 257.

55 المرجع نفسه، ص 257.

56 التخلاف مصطلح متداول وشائع بين البدو؛ وهو ترحل جزئي عرفه العموري حيث كان يرحل بخيمة صغيرة بمفرده ويترك من ورائه الأسرة بخيمته في مكانها الأصلي، وهذا النوع من الترحال لم يكن يتجاوز مسافة 30 كلم.

57 قال عنه أبو سالم العياشي: « وادي كبير ملتف بأشجار الطرفا في حلاها قيعان تمسك الماء، وتنبت الكلا يكفي الأنجاج من العربان إذا أو إليه، وفي أعلاه عند فرضة الجبل الذي منه إلى الصحراء قرية سندانة». العياشي، المصدر السابق، م 2، ص 549.

58 قرية صغيرة تقع جنوب بلدية النعامه بنحو 40 كلم على الطريق الوطني رقم 6 الرابط بين ولايتي بشار ووهران.

59 De la matinière et Lacroix. Document pour servir à l'étude du nord ouest – africain, vol.2, imp.la maison d'anel Lille, 1986, pp.250 – 252.

60 العياشي، المصدر السابق، ص 245.

61 الأراضي التي كان يحرقها المذابيح مثلا من فرقة أولاد بوبكر هي: النُقَيْخَة - لُقْفِي - المَرْقَق الأَبْيَض - زُورَة - الأُوْدِي الأَبْيَض - سَهْب الحَرْمَل - شَقَّة حَدِيْجَة - حَوْض الزَّائِر - الدَّشِيرَة - تَالَة - نُسَانِيْس - وُدِّي الأَل. بن عيسى، المرجع السابق، ص 58.

62 De la matinière et Lacroix, op.cit, pp.250 – 252.

63 مزيان، المرجع السابق، ص ص 103 - 104، 145.

64 المرجع نفسه، ص ص 109، 121.

65 Daumas, op.cit, P.253.

66 قصر من قصور واحة فجيح. الوداغير نسبة إلى الشرفاء الودتغيريين الذين تدفقوا على فجيح منذ النصف الثاني من القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي، كما يعرف أيضا باسم آيت عدي وهو اسم بربري نسبة إلى الولي الصالح الفقيه الإمام عيسى بن سعيد الملقب بعدي من ذرية مخلوف بن خلف الله. بنعلي محمد بوزيان. واحة فكيك تاريخ وأعلام، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1407هـ-1987م، ص ص 70 - 72.

67 De la matinière et Lacroix, op.cit, pp.253 – 254, 272 - 273.

68 تعرف أيضا بتيكورارين؛ والتي تعني المعسكرات بالبربرية. تسمى اليوم بتيميمون. قال عنها الوزان: «...منطقة مأهولة...بها ما يقرب عن خمسين قصرا وأكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل، سكانها أغنياء لتجارتهم مع بلاد السودان...لهذه البلاد أراضي كثيرة صالحة للزراعة...». الوزان، المصدر السابق، ص ص 133-134.

69 تقع في جنوب غرب الصحراء الجزائرية التي هي جزء من الصحراء الكبرى الإفريقية، يشمل على عدد من الواحات والمدن والقصور تزيد عن 350 قصر. ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 76-78.

70 مزيان، المرجع السابق، ص ص 131 - 132.

71 اليوم أولاد خليفي يشكلون فرعا خاصا بهم بعد أن انفصلوا عن عرش الصوّالي، يقول عنهم " ميزو ":

" On trouve dans Cette fraction beaucoup d'hommes lisent et écrivent corramment l'arabe ; alors que la Presque totalité des autres fractions sont illettrées ".monographie de l'annexe d'Ain sefra 1957, l.meyson ; chef d'annexe, p.8.

- بن عيسى، المرجع السابق، ص 42 - 43.

72 صوفي جزائري؛ تنتسب إليه الطريقة الشيخية. لتفاصيل أكثر عن حياة ومسيرة هذا الصوفي عد إلى دراستنا: مجدوب موساوي. سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد (940 هـ - 1533 م / 1025 هـ - 1616 م) دراسة بيوغرافية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف الدكتور ودان بوغفالة، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة معسكر، 1432 - 1433 / 2011 - 2012.

73 هو أحمد بن موسى الإدريسي الحسني؛ من أشهر رجال الطرق الصوفية، مؤسس الطريقة الكرزازية الشهيرة، ولد سنة 907 هـ - 1505 م، عاش إلى أن تجاوز المائة، ت 1016 هـ - 1608 م. اشتهر بالعلم والصلاح والشرف، أخذ عهد الطريقة الشاذلية اليوسفية عن الشيخ أحمد بن يوسف الملباني وأضاف إلى أورادها قراءة البسملة 500 مرة بعد أذكار صلاة الصبح. عبد المنعم القاسمي الحسني. أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دراسة إحصائية تحليلية، ط. 1، دار الخليل القاسمي، 1427 هـ - 2007 م، ص 120. قويدر قيداري. بستان الأزهار في سيرة سيدي يحي بن صفية ومسيرة أولاد نهار، دراسة تاريخية وأثرية وبولوجية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2009، ص 69.

74 عبد القادر خليفي. الطريقة الشيخية، دار الأديب للنشر والتوزيع، السانبا، وهران، 2006، ص 77.

75 الطريقة منهج في السلوك والعبادة استحدثت بعد القرون الثلاثة المفضلة؛ ولا أحدا منا ينكر ما كان لهذه الطرق من أدوار في تعليم الناس ووعظهم، والحفاظ على اللغة والثقافة العربية، وإزالة الفوارق الاجتماعية والتدخل لإنهاء الخلافات والخصومات بين الناس ونشر الدين في أصقاع كثيرة من العالم...، إلا أن المنهج الذي سلكوه في العبادة لم يقبله كثير من السلف لأنهم رأوه مخالفا لما كان عليه الرسول ﷺ - وصحابته - رضي الله عنهم - والذين كانوا أعبد الناس وأتقاهم لله وكانوا أكثر تمسكا بالأصليين: الكتاب والسنة وكل من كان على مثل ما كانوا عليه فقد اهتدى، ومن شد يميناً أو يساراً فقد ضل.

76 طريقة صوفية ظهرت خلال القرن العاشر هجري موافق للقرن السادس عشر ميلادي؛ تنتسب إلى الولي الصالح عبد القادر بن محمد المشهور بسيدي الشيخ، وهي إحدى فروع الطريقة الشاذلية. لتفاصيل أكثر عنها عد إلى: خليفي، المرجع السابق. أحمد بن عثمان حاكمي. الطريقة الشيخية في ميزان السنة، الطبعة الأولى، مطبعة مكاتب القدس، وجدة، 1996.

77 خليفي، المرجع نفسه، ص 78.

78 المرجع نفسه، ص 135.

79 ظهرت الزوايا القادرية بالجزائر قبل مجيء الأتراك العثمانيين؛ وكان الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي أول من أسس زاوية خاصة بالطريقة القادرية منذ سنة 597 هـ / 1200 م بنواحي معسكر؛ وتعتبر أساس كثير من الطرق الصوفية اللاحقة لها كالشاذلية. تتسم بالإصلاح والإرشاد والتسامح ونشر المعرفة والعلم. من أورادها حزب الوسيلة وورد الجلالة. أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16 - 20 م)، ج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 520 - 522. أحمد مريوش و مجموعة أساتذة. الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 98 - 100.

80 هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحي بن محمد الكيلاني الحسني؛ من كبار الزهاد والمتصوفين، مؤسس الطريقة القادرية، ولد بكيلان سنة 471 هـ - 1078 م، دخل بغداد فسمع الحديث وتفقه، ت 651 هـ - 1166 م، ودفن بمدرسة بباب الأتج، من مصنفاة: جلاء خاطر في الباطن والظاهر، الفتح الرباني والفيض الرحماني، الغنية الطالبية طريق الحق، سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار، وأداب السلوك والتوصل إلى منازل الملوك. عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين وتراجم

مصنفي الكتب العربية، ج5، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ص 307. الزركلي. المرجع السابق، ج4، ص 47.

81 De la matinière et Lacroix, op.cit, pp.321 – 322.

82 بن عيسى، المرجع السابق، ص ص 146 – 150.

83 De la matinière et Lacroix, op.cit, p437.

84 بن عيسى، المرجع السابق، ص ص 144 – 150.